وقوله تعالى احسن ما عملوا اي اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا فان
قيل كيف قال تعالى احسن والله تعالى يتقبل الاحسن وغيره اجيب
بوجهين احدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح
الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب
او الواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على
ذلك بقوله تعالى ونتجاوز اي بوعد لا يخلف عن سيئاتهم اي فلا نعاقبهم
عليها وقرا حمزة والكسائي وحفص بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتجاوز
والباقون بيا مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع احسن
وقوله تعالى في اصحاب الجنة في محل الحال اي كائنين في جملة اصحاب الجنة
كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي في جملتهم وقيل خبر مبتدا مضمر
اي هم في اصحاب الجنة وقوله تعالى وعد الصدق مصدر موكد لمضمون الجملة
السابقة لانه قوله تعالى اوليك الذين نتقبل عنهم في معنى الوعد فيكون
قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزا وذلك وعد من الله تعالى
صدق لكونه مطابقا للواقع الذي كانوا يوعدون اي يقع لهم الوعد به
في الدنيا ممن لا اصدق منهم وهم الرسل عليهم السلام حين اخبروا
بقوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات ولما وصف تعالى الولد
البار بوالديه وصف الولد العاق لهما بقوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما
والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله بن ابي
وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى
الاسلام وهو يابى وهو قوله اف لكما وقال الحسن وقتادة انها نزلت
في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها نزلت في من تقدم لا ينافي ان المراد به
الجنس فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت
في سورة بني اسرايل اتعدانني اي على سبيل الاستمرار بالتجديد
في كل وقت وقرا هشام بادغام النون الاولى في الثانية وفتح اليا نافع
وابن كثير وسكنها الباقون ان اخرج اي مخرج ما يخرجني من
الارض بعد ان غبت فيها وصرت ترابا يحييني كما كنت اول مرة وقد
اي والحال انه قد خلت اي مضت على سنن الموت القرون اي الامم
الكثيرة مع ضلالتهم من قبلي اي قرنا بعد قرن وتطاولت
الازمان ولم يخرج منهم احد من القبور وهما اي والحال انهما كلما قال
لهما ذلك يستغيثان الله اي يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال

ان يغيثهما بالهامه قبول كلامهما ويقولان لم ترجع ويلك اي هلاكا لك بمعنى
هلكت آمن اي اوقع الايمان لذي لا ايمان غيره وهو الذي ينقذ من كل هلكة
ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله ثم عللا امرهما على هذا النحو
موكدين في مقابلة انكاره بقولهما ان وعد الله اي الملك المحيط بجميع صفات
الكمال حق اي ثابت اعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة
الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه اقل الملوك فكيف بملك الملوك فيقول مسببا
عن قولهما ومعقبا لهما ما هذا اي الذي تذكرانه من البعث الا اساطير اي
اكاذيب الاولين التي كتبوها اوليك اي البعدا من العقل والمروة وكل خير
الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول اي الكامل في بابه بانهم اسفل السافلين
وهذا كما قال البيضاوي يرد من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي
بكر لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه وقال
البقاعي وهذا يكذب من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر فانه اسلم
وصار من اكابر الصحابة تحقق لهم الله الجنة ولما اثبت لهم هذه الشنعة
بين كثرة من شاركهم فيها بقوله تعالى في اي كائنين في امم اي خلايق كانوا
بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم بعضا قد خلت اي تلك الامم
من قبلهم فكانوا قدوتهم وادخل الجار لان المحكوم عليه بعض السالفين
من الجن لان العرب كانت تستعظمهم وتستخبرهم وذلك لانهم
يتظاهرون لهم ويوذونهم ولم يقطع اذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا
وباطنا الا القرآن فانهم احرقهم بانواره وجلاهم عن تلك البلاد بجلي
آثاره والانس ولا نفعهم كثرتهم ولا اغنت عنهم قوتهم
وقوله تعالى انهم اي كلهم كانوا اي جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون
على الانفكاك عنه خاسرين اي عريقين في هذا الوصف تعليل
للحكم على الاستيناف ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من
سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل
ولكل من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما درجات في الايمان والكفر
والطاعة والمعصية فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات
على اهل النار وقد روي الجنة درجات والنار دركات اجيب من وجوه احدها
ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب
علوا ودرج اهل النار هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب
المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل
النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى وليوفيهم اعمالهم اي جزاءها
معلله محذوف تقديره جزاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
وعاصم باليا التحتية اي الله والباقون بالنون اي ونحن وقوله تعالى

Copyright King Saud University